الكرامة والإهانة بحسب أعمالهم فقال: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦﴾ أي رجحت حسناته على سيئاته ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧﴾ يعني في الجنة. ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨﴾ أي رجحت سيئاته على حسناته. ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾ قيل: معناه فهو ساقط هاوٍ بأم رأسه في نار جهنم، وعبر عنه بأمه، يعني دماغه، وقيل: معناه فأمه التي يرجع إليها، ويصير في المعاد إليها هاوية، وهي اسم من أسماء النار، وإنما قيل للهاوية: أمه، لأنه لا مأوى له غيرها. كقوله تعالى: ﴿مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾ [آل عمران: 197] ولهذا قال تعالى مفسراً للهاوية: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾ عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «نار بني آدم التي توقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم» قالوا: يا رسول الله، إن كانت لكافية؟ فقال: «إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً». ورواه البخاري، ورواه مسلم. وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «اشتكت النار إلى ربها فقالت: يا رب، أكل بعضي بعضاً فأذن لها بنفسين: نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون في الشتاء من بردها، وأشد ما تجدون في الصيف من حرها» وفي الصحيحين «إذا اشتد الحر فأبردوا عن الصلاة، فإن شدة الحر من فيح جهنم».

تفسير سورة التكاثر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾.

يقول تعالى: أشغلكم حب الدنيا ونعيمها، وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها، وتمادى بكم ذلك حتى جاءكم الموت، وزرتم المقابر، وصرتم من أهلها؟ روى الإمام أحمد عن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ، وهو يقول: «﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت» ورواه مسلم والترمذي والنسائي. وروى البخاري قال: قال رسول الله ﷺ «يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى معه واحد: يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله، ويبقى عمله» وكذا رواه مسلم والترمذي والنسائي. وروى الإمام أحمد «يهرم ابن آدم ويبقى معه اثنان: الحرص والأمل» أخرجاه في الصحيحين. روى ابن أبي حاتم عن أبي بريدة في قوله: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ قال: نزلت في قبيلتين من قبائل الأنصار: في بني حارثة، وبني الحارث، تفاخروا وتكاثروا، فقالت إحداهما:

فيكم مثل فلان ابن فلان، وفلان؟ وقال الآخرون: مثل ذلك، تفاخروا بالأحياء، ثم قالوا: انطلقوا بنا إلى القبور، فجعلت إحدى الطائفتين تقول: فيكم مثل فلان، يشيرون إلى القبور، ومثل فلان، وفعل الآخرون مثل ذلك، فأنزل الله ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾ لقد كان لكم فيما رأيتم عبرة وشغل. والصحيح أن المراد بـ زرتم المقابر أي صرتم إليها، ودفنتم فيها، كما جاء في الصحيح أن رسول الله ﷺ دخل على رجل من الأعراب يعوده فقال: «لا بأس طهور إن شاء الله» فقال: قلت: طهور؟ بل هي حمى تغور، على شيخ كبير، تزيره القبور، قال: «فنعم إذن». وقوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾ قال الحسن البصري: هذا وعيد بعد وعيد. وقوله: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥﴾ أي لو علمتم حق العلم لما ألهاكم التكاثر عن طلب الدار الآخرة حتى صرتم إلى المقابر. ثم قال: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧﴾ هذا تفسير الوعيد المتقدم، وهو قوله: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾ توعدهم بهذا الحال، وهو رؤية أهل النار التي إذا زفرت زفرة واحدة خر كل ملك مقرب، ونبي مرسل على ركبتيه من المهابة والعظمة ومعاينة الأهوال على ما جاء به الأثر المروي في ذلك وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ أي ثم لتسألن يومئذٍ عن شكر ما أنعم الله به عليكم من الصحة والأمن والرزق وغير ذلك.

تفسير سورة العصر

ذكر الطبراني قال: كان رجلان من أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقيا لم يفترقا إلا على أن يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر إلى آخرها، ثم يسلم أحدهما على الآخر. وقال الشافعي رحمه الله: لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾

العصر: الزمان الذي يقع فيه حركات بني آدم من خير وشر فأقسم تعالى بذلك على أن الإنسان لفي خسر، أي في خسارة وهلاك ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي فاستثنى من جنس الإنسان عن الخسران، الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا الصالحات بجوارحهم ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ وهو أداء الطاعات، وترك المحرمات ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ أي على المصائب والأقدار، وأذى من يؤذي ممن يأمرونه بالمعروف، وينهونه عن المنكر.